

أسلوب القصر والجهد العقيم في الدرس البلاغى

لم يتناول أحد من البلاغيين قبل عبدالقاهر الجرجاني هذا الأسلوب ، ربما نجد شذرات يسيرة منه لدى بعض اللغويين تتعلق بدلالة اجتماع « ما » و « الا » في جملة واحدة ، أو توضيح معنى « إنما » في الكلام . لكن المعالجة الموسعة والنابعة من منطلق فكرى معين هي التي نجدها عند عبدالقاهر . فدراسته لدلالة النفي والاستثناء في الأسلوب ، ودلالة « إنما » ، وما قد يكون بين كلا النوعين من الأساليب من تشابه واختلاف ، كل ذلك كان في اطار نظريته العامة في « النظم » ، التي جاءت تطبيقاتها دراسة تفصيلية لخصائص التعبير في العربية ودلالاتها في شتى المواقع . في هذا الاطار تناول عبدالقاهر « إنما » حين تدخل على الجملة ، وربط ما بينها ، من حيث إفادته الاختصاص ، وبين « ما » و « إلا » من جهة ، و « لا » العاطفة من جهة أخرى ؛ فهي مثلها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره ، لكنها تختلف أولاً عن « لا » في أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة ، وليس كذلك الأمر في « لا » فإنك تعقلها معها في حالين (٢٧) . وهي ثانياً تختلف عن النفي والاستثناء ، في أنه يمكن الإتيان معها بـ « لا » العاطفة فيقال « إنما هو درهم لا دينار » في حين أنه لا يصح في هذه العبارة نفسها أن يقال : « ما هو إلا درهم لا دينار » (٢٨) كذلك تختلف عنهما في أنها تجيء لخبر لا يجمله المخاطب ولا يدفع صحته ، أو لما يُنزل هذه المنزلة .

تفسير ذلك أنك تقول للرجل : « إنما هو أخوك » و « إنما هو صاحبك القديم » لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويُقر به إلا أنك

(٢٧) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٣٥ .

(٢٨) وتعليل ذلك أن « لا » موضوعة لنفي ما هو مثبت ، وحين يقال « ما هو إلا درهم لا دينار » تكون قد نفيت ما سبق نفيه ضمناً في صدر الجملة . انظر الدلائل ص ٣٤٧ .